



العاشرة مجلة

المجلد الثالث، ٢٠١١

مجلة مسجلة لدى المسجل للجرائد في الهند (RNI) برقم KERARA00011
ومجلة معتمدة لدى جامعة كيرلا، الهند



قسم العربية، كلية الجامعة، تروناترلم، كيرلا، الهند، 695034

تميم البرغوثي: الناسج قلبه على قضايا الأمة

محمد علي الوافي

محاضر، كلية بافقية للآداب والعلوم الإسلامية، ولونور، ملابرم، كيرلا، الهند

"لقد أبدع تميم البرغوثي في معارضته لمعلاقة عمرو بن كلثوم أيما إبداع، فعمرو بن كلثوم الجاهلي كان ملتزماً في معلقته بقبيلته وقومه، وتميم الفلسطيني كان ملتزماً في قصيده بقضية شعبه وأمته فالظروف قد تشابهت عند كلا الشاعرين، فهذا هو السبب في نجاح تميم وتفوقه على سائر زملائه الشعراء"^١



نبذة عن تميم البرغوثي

تميم البرغوثي هو شاعر فلسطيني ولد بالقاهرة عام ١٩٧٧ مولوداً وحيداً للشاعر مرید البرغوثي وللرواية المصرية رضوى عاشور وقد حصل على الدكتوراه في السياسية من جامعة بوسطن بأمريكا سنة ٢٠٠٤ وزاول مهنة التدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة حيث عمل هناك أستاذاً، وفي الجامعة برلين الحرة فعمل هناك محاضراً، وعمل أيضاً بقسم الشؤون السياسية بنيويورك وفي بعثة الأمم المتحدة في السودان كما عمل باحثاً في العلوم السياسية بمعهد برلين. وهو الآن، على أساس المعلومات الأخيرة، يشغل منصب الأستاذ المساعد للعلوم السياسية في جامعة جورج تاون بواشنطن.

أهم قصائده ومؤلفاته :

- ميجنا، عن بيت الشعر الفلسطيني برام الله عام ١٩٩٩، وهو ديوان منشور باللهجة الفلسطينية
- المنظر، عن دار الشروق بالقاهرة عام ٢٠٠٢، وهو ديوان منشور باللهجة المصرية
- قالوا لي بتحب مصر قلت مش عارف، عن دار الشروق بالقاهرة عام ٢٠٠٥، وهو ديوان باللهجة المصرية
- مقام عراق، عن دار أطلس للنشر بالقاهرة عام ٢٠٠٥، وهو ديوان منشور بالفصحي
- في القدس، عن دار الشروق بالقاهرة عام ٢٠٠٩، وهو ديوان منشور بالفصحي
- له كتاب في العلوم السياسية: الأول باللغة العربية بعنوان الوطنية الأليفة: الوفد وبناء الدولة الوطنية في ظل الاستعمار صدر عن دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، عام ٢٠٠٧، والثاني باللغة الإنجليزية : The Umma and the Dawla: the Nation state and the Arab Middle East) صدر عن دار بلوتون للنشر بلندن، عام ٢٠٠٨.

^١ دراسة تحليلية لقصيدة تميم البرغوثي بقلم - أ. محمد جرادات - جنين (أستاذ وناقد فلسطيني)

ازدادت شهرة هذا الشاعر إثر اشتراكه في برنامج أمير الشعراء الذي أذيع على تلفزيون أبوظبي مؤخراً، عرف بحضوره القدس الدائم في شعره وانتصاره لقضية شعبه، والآن يعد هذا الشاب شاعر المأساة الفلسطينية، لأنّه يمثل حزن الأمة وأنينها في شعره بعد محمود درويش. وتلقى شعريه قصائد باهتمام بالغ وقبول حسن

قضية الأمة في شعره

القصيدة "في القدس" من أهم القصائد التي يشتمل عليها ديوانه "في القدس" ويتحدث فيها الشاعر طولاً عن فلسطين، وقدسها بشكل خاص، ويعبر فيها عن غضبه على السياسة الاستعمارية وعن شوّقه إلى القدس وعن أشجان أرضه وأهلها فيستهلها بأبيات تثير في قلوب القراء والمستمعين انطباعات وطنية حزينة بل هي ثورية قائلة:-

مررنا على دار الحبيب فردا	فقلت لنفسي ربما هي نعمة
فماذا ترى في القدس حين تزورها	ترى كل ما لا تستطيعاحتماله
إذا ما بدت من جانب الدرج دورها	وما كل نفس حين تلقى حبيبها
تسرب ولا كل الغبار يضرّ بها	فإن سرها قبل الفراق لقاوه
فليس بمحظوظٍ أنها سرورها	متى تبصر القدس العتيقة مرة
فسوف تراها العين حيث تدبرها	

يُعرب الشاعر عن الدخول في القدس كأنه يقص لنا طرفاً من حياته بل هو في الواقع طرف مؤسف للغاية من حياة جميع الفلسطينيين. "وما كل نفس حين تلقى حبيبها - تسرب ولا كل الغبار يضرّ بها".

ويقنعوا أن كل ما يوجد في مدينة القدس من حجر وأشجار ينطقتا بأشياء عديدة إذا سأله
"فكل شيء في المدينة - ذو لسان، حين تأسله، يبين"

ويقدم لنا القدس مكاناً وحيداً تداعت فيه المتناقضات على مر العصور رغم محدودية ساحتها المكانية ويودعها الشاعر في قنة القدسية باستخدام قوته الإبداعية الرائعة حيث يقول:-

"في القدس لو صافحت شيئاً أو لمست بناء
لوجدت منقوشاً على كفيك نص قصيدة
يابن الكرام أو الثنين"

ويظهر حماسه الوطنية المكنية فيها اللوعة الناتجة عن أعراض كتب التاريخ عن أهل فلسطين الحق:-

"في القدس تتنظم القبور، كأنهن سطور تاريخ المدينة والكتابُ ترابها

الكلَّ مرؤوا من هنا

فالقدس تقبل من أتهاها كافراً أو مؤمناً

أمرر بها واقرأ شواهدها بكل لغات أهل الأرض

.....

فيها كل من وطئ الثرى
أرأيتها ضاقت علينا وحدنا"

ويعلن الشاعر بشكل رمزي في قصيده "ذنوب الموت"، أن القوى المستعمرة أو الظالمه لا تنجو أبداً من الفساد والفناء لأنه لا يوجد أحد يجامله القدر والمنية فيفلت من قبضتها المحكمة ويبدو في البيتين التاليين يجيش الهم في صدر الشاعر:-

عموم المنايا ما لها من ثجامله ذلك ما ينجو من الموت قاتله	عزائي من الظلم إن مت قبلهم إذا أقصد الموت القتيل فإنه
---	--

وفي نفس القصيدة، يرسم مأساة فلسطين وواقعها المؤلم بشكل يحزن الشعب الفلسطيني والعالمين معاً ويثير ثائرتهم ضد العدو الألد المستعمر:- فنجد لسانه الذلق ينطق بكلمات تالية حديدة:-

أبي لا تخف - والموت يهطل وأبله وتعجز عن رد الرصاص أنمأله	ترى الطفل من تحت الجدار مناديا على نشرة الأخبار في كل ليلة
نرى موتنا تعلو وتهوي معاعوله لخمسين عاماً ما تكلُّ مغازلته	لنا ينسج الأكفان في كل ليلة أرى الموت لا يرضي سوانا فريسة كأنـا - لعمري - أهله وقبائله

وكذا نرى هذه المأساة الأليمة الوجيعة التي وقعت إثر احتلال أمريكي في بلاد العراق منعكسة في قصيده "مقام عراق" حيث يقول بعد اليأس والقنوط :

كفوا لسان المراثي إنها ترفٌ عن سائر الموت هذا الموت يختلف
وضمدوا النخل سبعاً إنه زمان للحرب لا السلم فيه يرتفع السعف
ضلَّ الكلامُ وضلَّ المهددون به إن الصفاتِ خياناتٌ لما تصفُ
المرء سرُّ ووجهه المرء يكتُمُ ثحاتُ هل عرَفوا أم بَعْدَ ما عرَفوا
ثُثُرُهم فترى في صمتهم خدراً كالشيخ عزاءً عن قتل ابنه الخرفُ
إن يصبروا لا تصدقُ أنهم صبرُوا أو يضعفوا لا تصدقُ أنهم ضعفُوا
يا من تصيرون يا وَيَلِي ويا لهفي والله لم يأتِ بعْدَ الوَيْلِ والهَفْ
هذِي المصيبة لا يرقى الحداد لها لا كربلاء رأَتْ هذا ولا التَّجَفُ

ويوازن المصيبة الواقعة على شعب العراق إثر احتلال الغربيين مع المصيبة الواقعة على الأمة في كربلاء حيث قتل فيها أفالذ من الأسرة المحمدية، بل يقول إن المصيبة الحالية في العراق وهي مصيبة غير مسبقة، وإليه يشير حيث يقول "هذِي المصيبة لا يرقى الحداد لها لا كربلاء رأَتْ هذا ولا النجف". وفي هذه القصيدة "مقام عراق" نرى الشاعر متائماً متأواهاً، لأن الحقيقة الجارحة التي يراها في تربة بغداد أجالته إلى القول:

يا أبا الطيب، قد كُنَا أخذنا عليكَ عهداً أن لا يجوزَ الشعرُ بعْدكِ،
كان الشَّعْرُ سِرًا وأذْعْنَهُ، قَمَرًا أَنْزَلَهُ وفَرَقَتُهُ على التلاميذِ،
فأعطيتَ كُلًا منهم قطعةً عليها أسمُكِ
لا يجاورُ شِعْرَكَ بعْدَها إِلا نَثَرُ وإنْ أَرَنْ
فكيفَ سَمَحْتَ لذِكَّ الهاوي المبتدئِ، المسمَى بالتأريخِ

أن يكتبَ كلَّ هذهِ المراثي إذنْ
كيفَ سمحَتْ لهُ أن يُلزمَ أبياتَكَ مَعْنَى لم يكنَ فيها

ولوعةِ القلب متضحةً حينما يرى حال الأمة التعسة في العراق المحتلة وفيه يقول الشاعر:

أمْ كنْتْ تعيِّنِي رأِيَ أَهْلَ الْحَسَابِ وَالْمَنْطَقِ،
أَنَّ مَنْ يَمْلِكُ الْجَنَّةَ يَعْشُ بَيْنَ نَارِيْنَ،
نَارَ الدِّفَاعِ عَنْهَا إِنْ بَقِيَّتْ،
وَنَارَ النَّدَمِ عَلَى حُسْرَانِهَا إِنْ ضَاعَتْ

وهذا الشاعر الموهوب لم يقف في شعره على الشعريّة فحسب بل إنه يستمد من التاريخ كما نراه في قصيدة مقام عراق، حتى يستمد من الحديث النبوي صورة مزركشة في نفس القصيدة حيث يقول:

إِلَيْيَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ
"أَكْرِمُوا عَمَّا تَكُونُونَ"
يَا عَمَّةً يَا عَمَّةً
يَا أَمَّةَ الْأَمَّةِ
يَا عَمَّةَ أَغْفِنَا

صعبٌ تلقينا بهذهِ القصيدة - مقام عراق - تقويم على بنية جميلة جداً، فالشاعر يمر سريعاً ويلتفت النقاطات رائعةً تاريخية، ويعطي فسحةً للذات، ذات الراوي، ليدون التاريخ من الأسفل في قصidته . وقد شارك الشاعر تميم البرغوثي في الثورات الداخلية التي اندلعت حديثاً في الدول العربية والإفريقية، بقلمه الأدبي ففي قصidته لتونس يقوم بإعلان ثوري:-

"إنَّ الدَّمَاءَ وَوَسْطُهَا شَهَادَهُمْ
عَلَمُ الْبَلَادِ هَلَاهُ قَتْلَاهَا"

ونجد في أعماله الشعرية صوت الاستهزاء تجاه الأمة ، وهو يظن أن من إمكان هذا الاستهزاء إيقاظ قلوب الغافلين والمتداومين ، وهو ينادي من حولهم ويطالبهم اليقظة والانتباه . ونسمع عويله في قصidته هذه - أمر طبيعي- حيث يرى الشاعر أن هذه المهاجمة من قبل الأعداء لا ينقطع ما دامت الأرضي الإسلامية منعمة من المعادن البترول والغاز وغير ذلك من المعادن الطبيعي. وقد توجد في أشعاره الآخر نبضات قلبه متعلقة مع قضايا الأمة مثل أشعاره، حديث الكساد، في ساعة يفديك قولي وقائله، أمير المؤمنين، أيها الناس، نفسي الفداء لكل منصر حزين، بيان عسكري، إن سار أهلي فالدهر يتبع، الحمامنة والعنكبوت.

أهم المراجع :

1. http://elkalima-elhorra.ahlamontada.com .
2. ورقة ألقاها السيد محمد شافع (الباحث في جامعة جوهر لال نهرو بنيدلهي، الهند) في الندوة الوطنية حول الوطنية في الشعر العربي الحديث المنعقدة في رعاية قسم العربية، كلية مهاراتاجاس، إرناكولام، كيرلا، الهند في ديسمبر 2011.

3. http://ar.wikipedia.org/wiki
4. http://tamimbarghouti.alafdal.net
5. http://www.al-ayyam.com
6. http://forum.stop55.com